ثانياً: المداخلات:

الأداء الأكاديمي في التعليم العالي

(تساؤلات للحوار)

أ. د. علي مصطفى بن الأشهر
كلية العلوم – جامعة الفاتح

1- هذه الورقة الموجزة من وحي حلقة نقاش انتظمت خلال شهر رمضان الماضي تحت رعاية نقابة أعضاء هيئة التدريس الجامعي.

وقد قلت عندئذ أننا جميعاً متفقون، ونتقاسم قناعات مشتركة، على أن التعليم العالي بجميع تخصصاته، وعلى أتساع ساحاته، يكتسب اليوم وأكثر من أي وقت مضى في ليبيا والعالم، أهمية متعاظمة في تكوّن البنى الحضارية والمعرفية للمجتمعات، بالإضافة إلى كونه مصدراً أساسياً، وربما الوحيد في بعض المجتمعات النامية. للكفاءات العلمية والتكنولوجية التي تبنى عليها تطلعات المجتمع، أي مجتمع في التنمية والتقدم والازدهار...

وقد شهدت ليبيا، خلال العقود الماضية، وبتسارع كبير، أتساع حركة التعليم العالي بتزايد عدد المؤسسات الأكاديمية ذات التخصصات والتوجهات العلمية والتكنولوجية المتنوعة، والنمو – وربما التضخم – في أعداد الدارسين حالياً، والمتطلعين إلى الالتحاق بمؤسسات التعليم العالي مستقبلاً...

كما نشأت وتطورت ثقافات اجتماعية تدفع بكل أسرة ليبية أن يلتحق كل أبنائها وبناتها بالجامعات، وبتخصصات بيعينها....

هذا الزخم الهائل في حركة التعليم العالي... وهذا التوسع الأفقي الكبير في مؤسساته... قد يكون ترتبت عنه مشكلات، يرقى بعضها لدرجة المعضلات قد يمثل أهمها وأخطرها في تدني المستويات الأكاديمية للمركبات التعليمية المختلفة:

المؤسسات الأكاديمية، والقائمين بنشاطات التعليم العالي، والمستويات التعليمية لمخرجات التعليم العالي .....الخ.

وقد يمثل أخطرها وأهمها أيضاً في تكدس أعداد الخريجين في تخصصات دون غيرها، على حساب الاحتياجات الفعلية للمجتمع.

من هنا يأتي – في رأينا – أهمية هذه التساؤلات التي سوف نطرحها بعد قليل، والدعوة إلى حوار مفتوح حولها وحول غيرها، بغرض التعرّف بشكل أكثر موضوعية وحيادية، بقدر الإمكان، على إشكاليات التعليم العالي ومشاكله، واقتراح برامج علمية لتطويره وإنمائه والخروج به من الدائرة المغلقة التي يدور فيها، والتوصل إلى حلول ناجحة لهذه المشكلات والمعضلات التي يعانيها.

2- ونحن هنا سنركز معاً على الدعوة إلى فتح حوار موسع، يكون موضوعياً وعقلانياً، وبني على رؤى فكرية وعلمية، بعيداً عن الانطباعات الشخصية، متجاوزين مرحلة المزايدات في الرأي والفكر، بل يجب أن تطرح هذه القضايا على أتساع الساحة الأكاديمية من أعضاء هيئات التدريس، وفعالية المجتمع الجامعي، والمثقفين والعلماء والباحثين، وكل من له علاقة مباشرة

وغير مباشرة لهذا القطاع الحيوي، وبخاصة بين صناع القرار في قطاعات الدولة والمجتمع.

وسوف نكتفي هنا تسليط الأضواء على بعض هذه القضايا في شكل تساؤلات، لعلها تشكل بعض ما يدور في كل هذه الأوساط التي نوهت عنها آنفاً، وأوساط أخرى خانتني ذاكرتي في التوجيه نحوها:

2-1 في البداية، لابد لنا أن نستعرض، ولا أقول نتفق – لقد لا يكون الاتفاق ممكنا، ولن يكون بالتأكيد ضرورياً ومفيداً – حول المقصود ب"الأداء الأكاديمي". وسوف أكتفي من جانبي – وفي هذا المداخلة الموجز – بطرح بعض التساؤلات حول هذا المفهوم:

<u>ما هو المقصود ب"الأداء الأكاديمي"؟</u>

- هل هو قيمة المعلومة العلمية التي تقدم إلى الطالب؟
- أم هل هو قيمة المعلومات العلمية التي يكتسبها عضو هيئة التدريس خلال تفاعله مع المجتمع الجامعي (التدريس، المكتبات، الندوات، الدراسات العليا... الخ)؟
- أم هو الأسلوب الذي تقدم به هذه المعلومة للطالب؟
- أم هل هو قدرة الطالب الاستيعابية للمعلومات التي تقدم له؟
- هل يعني هذا التجديد الدائم للمعلومات العلمية والتكنولوجية ومواكبتها للتعليم العلمي والتكنولوجي في العالم؟

على ضوء هذه التساؤلات وغيرها، نطرح هنا للنقاش والحوار الرباعية التالية التي قد تشكل بداية تشخيص للقضية المطروحة:

الأداء الأكاديمي المتميز يعتمد على

الأستاذ الجيد، الطالب القادر على الاستيعاب، التسهيلات العلمية والتكنولوجية المتميزة، والمعلومات المتجددة دوما!

والسؤال الذي قد يكون من الواجب طرحه في ختام هذه البند:

هل هذا كله متوفر في مؤسساتنا الأكاديمية، وبدرجات مختلفة؟ وهل الأداء الأكاديمي في مؤسساتنا في تطور مستمر نحو الأفضل دائماً؟ أم أن الأمور -ربما- في حالة تدني وركود؟

2-2 تقودنا هذه التساؤلات، إلى استعراض المركبات الثلاث التالي، وهي مركبات اقتبسناها عن محاور حلقة النقاش التي أشرنا إليها في بداية هذا المداخلة. رغم أنها متداخلة فيما بينها، إلا أننا سوف نحاول إثارة بعض القضايا والتساؤلات حولها، في إطار المفاهيم التي طرحناها حول الأداء الأكاديمي:

أولاً: ما المقصود بالبيئة التعليمية بالجامعات؟

في العديد من دول العالم، وبخاصة العالم المتقدم، تشكل الجامعات ظاهرة جاذبة للأستاذ والطالب، وللمهتمين عموماً، وذلك لتوفر البيئة الأكاديمية المناسبة التي تجعلهم ينشغلون معظم وقتهم بالنشاط العلمي والتعليمي دون غيره، ويلازمون مواقعهم العلمية والأكاديمية معظم أوقاتهم.

- هذا، مع بعض إستثناءات قليلة، لا يحدث في جامعاتنا. لماذا؟ لماذا يسارع أعضاء هيئات التدريس بمغادرة الجامعة؟ هل ذلك لأن لهم إنشغالات غير أكاديمية أخرى؟
- ما هي مركبات هذه البيئة ومتطلباتها؟ وكم هي متوفرة بجامعاتنا، ولو بدرجات متفاوتة؟

- هل هي المكتبات الجيدة والمتطورة دوماً؟ هل في التسهيلات التعليمية والمعملية والحاسوبية والمعلوماتية؟ هلي هي قاعات الدرس المتكاملة؟ هل هي مكاتب أعضاء هيئات التدريس المتكاملة، والتي يستطيع عضو هيئة التدريس أن يتفرغ فيها لعلمه العلمي، ويستقبل طلبته، ويتجاوز مع زملائه؟
- أم هي: التسهيلات الضرورية للطلبة؟ والنشاطات الثقافية المتواصلة؟ والتسهيلات الترفيهية والرياضية؟
- أم أن هناك عوامل جذب، أو عوامل طرد، لم نذكرها هنا؟

إن السؤال الذي يطرح هنا ما هو تأثير هذه المركبات، وغيرها، على الأداء الأكاديمي للتعليم العالي؟

ثانياً: تتحدث المركبة الثانية عن التعليم العالي وعلاقته بالمسجدات والعلمية والتكنولوجية في العالم.

كيف يجب أن يطرح السؤال هنا؟

نعلم جميعاً، أن الجامعات هي مصدر رئيسي – أو يجب أن تكون – للمعرفة بوجه عام، هذه المعرفة المتطورة دوماً، سواء بإنتاجها للمعارف العلمية والتكنولوجية (والعلمية هنا بمفهومها الواسع، وليس بالقوالب الضيقة التي قد نضع أنفسنا فيها)، أو بالاتصال والتفاعل مع ما يجري على ساحة التقدم العلمي والتكنولوجي.

- هل يحدث هذا في مؤسساتنا الأكاديمية؟ والى أي مدى؟
- هل عضو هيئة التدريس على تواصل دائم ومكثف مع هذه الساحة العلمية والتكنولوجية؟ وهل تتوفر لديه الإمكانيات والتسهيلات في هذا الشأن؟ هل هو ينقل هذه المعلومات المتجددة إلى طلبته وزملائه

ومجتمعه، عبر المحاضرات والحوارات واللقاءات والندوات؟ أم أن معلومات عضو هيئة التدريس تظل تتقادم حتى تفقد أهميتها وفعاليتها؟

- هل يجدد عضو هيئة التدريس وسائله التعليمية، وأدواتها، بحيث يجعل العلمية التعليمية تفاعلية بينه وبين طلبته؟

أم هو عمل روتيني تلقيني تتم فيه العملية التعليمية في اتجاه واحد، من المدرس إلى الطالب؟

قد نجد من يكررون محاضراتهم نفسها سنة بعد أخرى، دون تجديد يذكر. هل هي الفئة السائدة؟ أم هم إستثناءات قليلة؟

قد نجد بعض أعضاء هيئات التدريس يتعودون على التلقين من جانب واحد، ويدفعون بالطالب على الاعتماد على ما يقدمونه من محاضرات مكتوبة، أو كتب لا تتجدد معلوماتها.

ما مدى دقة هذا الكلام وصحته؟

قد يشكل هذا إستثناءات للقاعدة..

وما مدى تشجيع الطالب على التفاعل الإيجابي مع المادة العلمية التي تقدم إليه؟ وما مدى استخدامه للأدوات والتكنولوجيات المتطورة دوماً، بخاصة الوسائط المتعددة، في متابعة تحصيله العلمي والتكنولوجي؟

سؤال أخير نختتم به الحديث عن هذه المركبة:

ما هي الصعوبات والمعيقات التي تعرقل وتبطئ صلات أعضاء هيئات التدريس والدارسين بالمستجدات العلمية والتكنولوجية في العالم؟

ثالثاً: نأتي الآن إلى المركبة الثالثة: دور التعليم في إنتاج المعرفة.

تعتبر المؤسسات الأكاديمية منارات علمية وفكرية، تساهم بشكل يكاد رئيسياً في إغناء رصيد المجتمع من المعارف والثقافات، وتساهم في تطوير النسيج الحضاري للمجتمع.

لقد مر علينا حين من الدهر، ولا زلنا كذلك، نعتبر أن الجامعات هي مؤسسات لتخريج المؤهلين والمتخرجين، وركزنا بشكل كبير مبالغ فيه على جوانب العلوم الطبيعية والتكنولوجية، معتقدين أنها وحدها التي تكفل لمجتمعنا التقدم والازدهار، حتى أننا أهملنا الدور الحقيقي للجامعات في إنتاج المعارف والعلوم، وأصبحت مؤسساتنا الأكاديمية جهات متلقية تستقي مصادرها العلمية والتكنولوجية، والمعرفية عموماً، من خارجها، وتخلت عن دورها في إنتاج المعرفة بمختلف أنواعها.

إضافة إلى ذلك، غلبنا الجانب العلمي –بمفهومه القاصر– على الجوانب المعرفية الأخرى.

ما مدى صحة هذه الأطروحات؟

وما مدى مساهمة مؤسساتنا في إنتاج المعرفة، وتعميمها على قطاعات المجتمع وفئاته؟

والسؤال الذي تتحتم الإجابة عليه هنا:

هل في إمكاننا تفادي هذا الجانب السلبي الخطير، إن وجد حقيقة؟ وما هي الخطط والبرامج العلمية التي يمكن تبنيها؟

وفي الختام نقول:

لا يختلف اثنان على إن التعليم العالي يعاني من مشكلات، بل معضلات، خطيرة تسببت في تدني المستويات الأكاديمية داخل الجامعات نفسها، وأثرت سلباً على مخرجاته سواء من حيث تكدس الخريجين في تخصصات معينة دون غيره بسبب نشوء ونمو ثقافات اجتماعية معروفة، أو من حيث المستويات النوعية هؤلاء الخرجين.

هذا الحكم على الوضع الجامعي قد يكون جائراً، وقد يكون حكماً تعميمياً، فالصورة ليست مظلمة إلى هذا الحد، ولا شك أن المؤسسات الجامعية والمعاهد العليا قد ساهمت بشكل كبير في نمو المجتمع وتقدمه. ولكن ظواهر الخلل موجودة، ومسبباتها تكاد تكون معروفة، ولكي لا نكون مقصرين، ونساهم بدون قصد ربما في زيادة تعقيد المشكلات والمعضلات التي تواجه التعليم العالي، فإنه علينا جميعاً – أعضاء هيئات التدريس والمثقفون وصناع القرار، وغيرهم من فعاليات المجتمع – مواجهة هذه القضايا المطروحة بموضوعية وعقلانية وصراحة.

ولقد حاولت من خلال هذه المداخلة القصيرة أن أتطرق إلى العديد من القضايا المطروحة للنقاش والحوار، عبر تساؤلات تدور – بدون شك – في أذهان العديد منا ممن يشكل لديهم تطور التعليم وتقدمه هماً دائماً، دون محاولة الإجابة عليها بآراء ذات طابع شخصي حتماً، رغم أن هذه التساؤلات قد تكون أوحت – دون قصد مني– ببعض ما أراه في هذه الشؤون.

تطوير التعليم العالي

د. أحمد مصطفى الحار
كلية الآداب – جامعة السابع من إبريل

إن التعليم الجامعي والعالي هو مرحلة تربوية وتعليمية هامة وعظيمة ولها علاقة ببناء المستقبل المشرف للجماهيرية العظمى، وعلى ذلك لابد أن يتبع في هذا التعليم الأسلوب التربوي والتعليمي الجديد والقائم على الحرية والديمقراطية والعدالة والمساواة، وأن يكون المتعلم أو الطالب في هذا التعليم العالي إيجابياً وفاعلاً في العملية التربوية والتعليمية وأن لا يكون مجرد آله ووسيلة تسجيل فقط يسجل ويحفظ ويلقن بالمحاضرات والنقاش والحوار ليعيد هذه المعلومات والمعارف كما هي في الامتحانات دون أي تأثير على حياته وسلوكه وتصرفاته وميوله ورغباته وآماله وأمانيه وتطلعاته. إن الأسلوب التربوي والتعليمي الجديد الذي أكدته النظرية العالمية الثالثة في الركن الاجتماعي الأسلوب الإنساني والديمقراطي العائم على المشاركة الفعلية من قبل المتعلم صاحب الحق الأول في العملية التربوية والتعليمية والنقاش والحوار الحر ولا ينظر إلى المتعلم بأنه مجرد إناء فارغ يملأ من الخارج بالمعلومات والمعارف ليحفظها ويعيدها كما هي في الامتحانات. إن مثل هذا الأسلوب التربوي والتعليمي هو في الحقيقة أسلوب تلقيني حفظي استظهاري وإجباري جائر وظالم

وغير إنساني ولا يمكن لهذا الأسلوب أن يساهم في إعداد الجيل الجديد المؤهل علمياً وفنياً تخصصياً ليشارك هذا الجيل في تحقيق التحولات التي ينشدها المجتمع الجماهيري الجديد وأن يواكب التحولات العظيمة التي تتحقق على أرض الواقع المعاش.

إن الأسلوب التربوي والتعليمي الصحيح هو الأسلوب الذي ينطلق من حقائق لا تقبل الشك وهي التربية والتعليم حق طبيعي لكل إنسان مثله مثل الحرية وإن أي مجتمع يمنع الإنسان من ممارسة هذا الحق هو مجتمع متعصب ومعادي للحرية وللعلم وللمعرفة.

يرى كثير من علماء التربية والتعليم بأن المؤسسات العلمية وخاصة الجامعية والعليا لابد أن تكون مرتبطة ومتصلة بالمجتمع وبمشاكله وقضاياه الواقعية والفعلية والحياتية وأن لا تكون هذه المؤسسات منفصلة ومنعزلة وبعيدة عن المجتمع تربطها جسور مترامية وطويلة. إن هذا الاتجاه أو الأسلوب التربوي والتعليمي خاطئ ومدمر لهذه المؤسسات العلمية وللمتعلمين و للمجتمع لأنه إذا اعتبرت هذه المؤسسات هي مجرد مؤسسات منعزلة ومنفصلة عن الحياة الواقعية والمعاشة وبمناهج ومقررات نظرية مثالية خالصة يجعل هذه المؤسسات مجرد برك من الماء الراكض والتي تتحول بالتالي إلى مصادر للأوبئة والأمراض الفتاكة والخطيرة والضارة بالمجتمع وبأفراده وبتطلعات المجتمع ومستقبله.

لابد أن تساهم مؤسساتنا الجامعية والعليا في خطط التنمية وفي الجوانب الاستشارية لتواكب هذه المؤسسات العلمية التحولات العظيمة وفي كل جوانب الحياة التي تتحقق بالفعل على أرض الجماهيرية العظمى